

حديث التقريب.. الشهيد مرتضى مطهري داعية وحدة الأمة



الاستاذ الشهيد "اية الله" مرتضى مطهري"، هو مفكر كبير وإحيائي صاحب مشروع، وفقيه ملتزم، وفيلسوف يعيش هموم الأمة وآمالها.

ولد الشهيد مطهري في "فريمان" بمحافظة "خراسان" (شرق إيران)، وظهرت عليه منذ صباه أمارات الطهر والتقوى وحب العلم والذكاء والنبوغ.

أنهى مقدمات دراساته الدينية في مسقط رأسه، ثم واصل دراسة العلوم الإسلامية في مشهد مركز خراسان.. شوقه لاستكمال العلوم دفعه أن يهاجر إلى مدينة «قم» حيث الحوزة العلمية الكبرى في إيران.

في قم (جنوب طهران) تتلمذ على كبار العلماء منهم آية الله البروجردي والإمام الخميني والسيد محمد حسين الطباطبائي الفيلسوف المفسر، ولم تمض مدة حتى أصبح من المدرسين المشهورين في الحوزة.

برز في الدراسات الفلسفية، وعلاق على آراء أستاذه الطباطبائي وشرحها في كتاب "اصول فلسفه وروش

رئاليسم"، (أصول الفلسفة وطريقة المثالية).

كان الأستاذ الشهيد ينتمي إلى التيار الواعي الإصلاحي الإحيائي في الحوزة العلمية، ولذلك ارتبط بالحركات الإسلامية، وأصبح بعد ذلك وكيلاً عن الإمام الخميني للإشراف على التوجه الفكري لتلك الحركات.

لقد استلهم الأستاذ الشهيد من دروس الإمام الخميني (رض) التهذيب وتركية النفس، والاهتمام بشؤون المجتمع والتوجه نحو إصلاح حالة الأمة. ولذلك كان في كل مؤلفاته وأعماله العلمية والعملية مهتمًا بتحقيق ما يصبو إليه من إصلاح وإحياء.

وحدة الأمة في خطاب الشهيد مطهري

قضية تقارب المذاهب الإسلامية ووحدة الأمة تحتل مساحة كبيرة من نشاطات الشهيد مطهري الفكرية والدعوية والعملية. وهذه ظاهرة طبيعية في رجل يحمل همّ إحياء الأمة؛ باختصار نذكر أهم محاور خطاب مطهري في هذا المجال.

المحور الأول: اهتمامه بخطاب الوحدة في القرآن الكريم، ويكرر في أحاديثه آيات من كتاب الله يؤكد على وحدة الصف الإسلامي مثل قوله سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وقوله: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ مَعَهُ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ويذكر الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ويرى أن الدعوة في الآية إلى مطلق الخير، وأن أهم الخير الدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

الثاني: سرد سيرة النبي (ص) والإمام علي (ع) في المحافظة على وحدة الأمة، بشأن سيرة النبي (ص) يذكر اهتمام الرسول الاكرم (ص) بعقد الأخوة بين المهاجرين والأنصار، حتى كانوا لأمد يتوارثون.

ثم يطيل الحديث في سيرة أمير المؤمنين علي (ع) في هذا الإطار، ذلك لأن مخاطبيه عادة هم الشيعة، يريد بذلك أن يقول لهم إذا كنتم شيعة علي حقًا فعليكم أن تكونوا أكثر من غيركم اهتمامًا بوحدة الأمة،

رادًا بذلك على الفئة التي تتخذ من الولاء لآل البيت مدخلًا للتفرقة بين المسلمين.

وفي سيرة علي و(ع) يركز على موقفه من الخلفاء لحفظ وحدة الأمة، وتعامله بإخلاص معهم لصيانة الإسلام والمجتمع الإسلامي، من ذلك نصيحته للخليفة الثاني أن لا يخرج مع الجيش في فتح إيران خشية أن يسبب قتله في تجرؤ العدو وفي تصعيد معنويات الجيش المعادي.

ويشير أيضًا إلى موقف أبي سفيان الذي حرّض عليًا (ع) لأن يثور على بيعة أبي بكر متظاهرًا بأنه يؤمن بأحقية علي في الخلافة، وإلى موقف علي (ع) في رفض هذا الموقف بشكل حاسم، مؤكدًا اهتمامه بسلامة الإسلام.

بعد ذلك يقول : «يبدو أن يد أمثال أبي سفيان لا تزال تعبت للتفرقة بين المسلمين متظاهرة بالولاء لآل البيت!! ويحذر من هذه الأيدي مؤكدًا ضرورة وضع سيرة علي (ع) نصب العين لدفع شر هؤلاء المفرقين.

وفي كتابه "سيرى در نهج البلاغة" (فارسي)، يركز على موقف علي (ع) من وحدة الأمة، وما قدمه على هذا الطريق من توضيحات. ولا بأس أن أنقل عنه عبارة تنبئ عن مواجهة في عصره بين التقريبيين والمفرقين :

"علي أصبح فداء للوحدة الإسلامية، أي شخص كان بـقَدَر علي في احترام الوحدة؟ الآخرون كانوا يقطعون وهو كان يوصل".

الثالث : محور بيان طبيعة الدعوة الإسلامية، وهو ما يؤكد عليه الأستاذ الشهيد في كتاباته ومحاضراته بسبب شيوع الخطاب القومي والطائفي في عصره، فيفصل القول في عالمية الإسلام، ويعرض موقف القرآن والسيرة من الأطر القومية والعشائرية وأي إطار آخر يفصل بين المسلمين.

يستعرض الخطاب الغربي الموجّه إلى الإيرانيين بشأن الدين الإسلامي.. زاعمًا أنه دين غريب على الإيرانيين ولا يرتبط بهم لا قوميًا ولا لغويًا ولا ثقافيًا!! ويردّ على ذلك في كثير من كتبه مؤكدًا على عالمية الدعوة الإسلامية وأسسها الإنسانية، ومشيرًا إلى أن المسيحية التي يعتنقها الغرب هي دعوة انبثقت من أرض فلسطين فهل يمكن اعتبارها غريبة عليهم؟!

الرابع: الحج ووحدة المسلمين خصص الأستاذ الشهيد كتابًا للحديث عن الحج وكله يدور حول دور الحج في

ترسيخ وحدة المسلمين، والمعاني التي تنطوي عليها مناسك الحج من توحيد للصفوف وتأليف للقلوب وإزالة للفوارق القومية والمذهبية والطبقية.

السادس - العواطف الإنسانية والوحدة: يرى الأستاذ الشهيد أن الإنسان بذاته يتجه إلى النزعة الفردية، وهذه النزعة الفردية تصلدم عادة بالنزعات الفردية للآخرين، ويحدث الصراع بين الأفراد. غير أن ثمة عوامل أخرى قد تأتي وتغطّي على هذا الصراع، وهذه العوامل إما أن تكون «مصلحية» أو «رسالية».

العوامل المصلحية تجمع الفرقاء في تعاون تجاري أو اقتصادي فيرى كل واحد من الشركاء أن مصلحته مرتبطة بمصلحة غيره من الشركاء، عندئذ يتعاونون في إطار تحقيق هذه المصلحة، وهذا يمكن أن نطلق عليه اسم «تعاون» لا «تآلف».

التآلف يأتي من اجتماع الناس على مصلحة رسالية مثل مصلحة الوطن والقوم، غير أن التاريخ لم يشهد مصلحة رسالية تجمع الأفراد وتؤلف بين قلوبهم كالمشروع الديني.

ثم يذكر الأستاذ الشهيد أمثلة من تآلف المسلمين في ظل الرسالة الإسلامية في عصرها الأول، وينقل نصوصاً من سيرة الصحابة ومن سيرة الإمام علي تبين قدرة الدين على رفع مستوى هموم الناس إلى حمل هموم الأمة حتى بلغ بالإمام علي(ع) إلى أن يقول، «أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داء أن تعيش ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القدر

السابع : الوحدة والحياة: في هذا المحور يتجه الأستاذ الشهيد نحو فهم حضاري للوحدة، فهو يرى أن الإسلام مهمته الإحياء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

ويرى أن طبيعة الجسم الحي أن يكون متواصلاً متواسياً مرتبطاً ارتباطاً عضوياً. وفي ذلك يقول الرسول (ص) : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». (الجامع الصغير 2/155).

الثامن: العشق والوحدة: العشق بغضّ النظر عن نوعه أهو غريزي أم روعي يُخرج الإنسان من دائرة

ذاتيته. الذاتية سجن وحصار، وعشق الغير يكسر هذا الحصار.

الإنسان القابع في ذاته الذي لا يحمل مشاعر حبٍّ لغيره إنما هو إنسان جبان نحيل متكبر قاسي القلب مغرور ليس في روحه أية إضاءة ولمعان. وإذا دخل العشق يغيّر جوهر الإنسان ويجعله فردًا رقيقًا ذكيًا وثّابًا.

ويخلص الاستاذ الشهيد من هذا المحور أنَّ هبوط عاطفة الحبِّ والودِّ في النفوس عامل تمزيق وتفتيت، بينما الحبُّ يلين القلوب ويصقل العواطف ويهذّب الطباع ويجمع المتفرقين.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية/

الشؤون الدولية